خلاصة الشعر

خلاصة الشعر

Sabah_ alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

ولو تلتقي اصداؤنا بعد موتنا
ومن دون رمسينا من الارض سبسبُ
لظلّ صدى رمسي ولو كنت رمّة
لصوت صدى ليلى يهش ويطربُ

هذان البيتان الجميلان من قصيدة للشاعر عبد الله بن سهم السلمي المعروف بابي صخر الهزلي في حبيبته ليلى بنت سعد.
وكانت ليلى هذه قد تزوجت رجلا غيره فنقلها الى قومه وظلت اثار الحرقة ظاهرة في شعره وهذه الحرقة والمعاناه هي التي اوجدت لنا عدة قصائد جميلة في هذه المحبوبة ومنها هذه القصيدة التي اخترنا اجمل بيتين فيها.
وكان الشاعر قد عاش في عصر الدولة الاموية ومن مُدّاح خلفائها وامرائها ونظر لهذا التعصب فقد حبسه ابن الزبير حتى قتل.
وعصر الدولة الاموية هو بداية الانفتاح على الامم الاخرى، وقد ظهرت فيه طبقة من شعراء الغزل كان في مقدمتهم عمر بن ابي ربيعة وكثير عزة وجميل بثينة وغيرهم.
بعد ان يحس الشاعر بحالة الفقدان ويعيش حالة الهجر والتشرد فانه يمني النفس بشيء من عالم الخيال الذي هو المساحة التي يتحرك فيها الشاعر بعد ان حرم من تحقيق حلمه على ارض الواقع فيبدأ بنسج قصص واحلام يأمل تحقيقها في عالمه الخاص وعالمه هذا يحققه الحلم.
والشاعر هنا كغيره من شعراء الاديان يؤمن بمبدأ البعث والنشور حيث تلتقي الارواح فهو طالما لم يحقق اللقاء في عالم الاحياء فانه يأمل ان يحققه في عالم الارواح.
لذلك يقول الشاعر ربما تلتقي أصداؤنا ويقصد الارواح لان الاصداء هي انعكاس الصوت وهو شيء غير مهم في هذا الجانب وهذه الارواح حتما ستلتقي بعد الموت حينها ستكون الارماس وهي الاجساد الميتة قد تلاشت وذابت ولو انها كانت قد دفنت في ارض مستوية مرتفعة ولا ادري ما علاقة الارض المستوية المرتفعة وفضلها عن غيرها في عملية فناء الاجساد.
ان الشاعر حتى وهو في الحياة لم يكن يهمه اللقاء الجسدي وانما كان يبحث عن اللقاء الروحي ولو ان هذا لا يتحقق في عالم الاحياء الا بالتقاء الاجساد ولكنه يؤمن ان لقاء الاجساد وسيلة للقاء الارواح.
عند الموت سيرقد كل جسد في رمسه "قبره" ولكن الارواح تبقى تحوم حول القبر "هذا الكلام ضمن مفهوم الشاعر لحركة الاجساد والارواح" وهذه الارواح التي حرمت من اللقاء في عالم الاحياء بسبب قوة خارجية فانها الان في كامل حريتها لاتستطيع اي قوة ان تمنعها من اللقاء.
لذلك سينطلق صدى الشاعر وسينطلق صدى الحبيبة ليلى ليلتقيا في عالم غير منظور لا تستطيع ان تؤثر فيه قوة بشرية.
وفي هذا اللقاء المنتظر سيتحقق الحلم وسيندفع كل منهما للقاء صاحبه "يهش ويطرب" اي ان كليهما سيفرح ويسعد بهذا اللقاء وسيكون لقاءا ليس بعده فراق. وكان الله في عون المحبين.

موبي ديك: محنة الكاتب وسحر الرواية

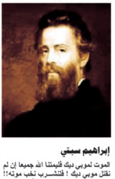

إبراهيم سبتي

الموت لموبي ديك فليمتنا الله جميعا إن لم نقتل موبي ديك ! فلنشرب نخب موته!! بهذه الكلمات كان القبطان "أخاب"، وفي الترجمة الأخرى للدكتور احمد خالد توفيق "آهاب"، قد شحذ همم اصحابه في سفينة صيد الحيتان "بيكود".

انما هل يستطيع الانسان ان يقمع هوسَه وتمرده الطاغي؟ قد يحاول كل منا ان يجد له مكانا ما في ساحة الصراع أيّا كانت، ولكن قد لا ينتج عن هذه المنازعة اية نتيجة او ربما تذهب المحاولة عبثا.. في خضم الانتاج الروائي العالمي، ثمة روايات اتخذت من الصراع بين الانسان وقوى متعددة اخرى، ثيمة رئيسة فيها.. مع اختلاف نوع الصراع وكيفية معالجته.. الا ان موبي ديك رواية هيرمان ميلفل المكتوبة عام ١٨٥١، كان الصراع فيها مأساويا ومعروف النتائج، الا ان مبدأ الخسارات لم يكن مطروحا في ممارسة وفكر أخاب بطل الرواية البحار العنيد.. في القراءة الاولى للرواية "ترجمة الدكتور احمد خالد توفيق"، ثمة مقاربات جدلية لم تحسم في نظرتنا للصراع داخل المتن الروائي وهي قراءة لم تأت وفقا لما أراده ميلفل في متنه الضخم .. وفي القراءة اللاحقة، كانت موبي ديك رواية أخرى تماما وخاصة بترجمة الدكتور احسان عباس او لنقل ربما أصابنا هوس القراءة المخترقة لمغاليق السرد.. اخرى لانها كشفت بعمق، المأساة الكامنة خلف سرد الراوي.. مأساة الانسان المتكلف الراغب بهزيمة قوى الطبيعة المتمثلة بالحوت الأبيض "موبي ديك".. هذه المقاسة خاطها ميلفل بعناية ودراية وعارف بشؤون البحار واهوالها مما أهلته معرفيته الخوض في غمار تجربة الكتابة الشائكة للرواية البحرية الصعبة فبان انعكاس ذلك على أحداث الرواية بوضوح، او كما يقول كارل يونغ أن الخبرات التي يمر بها الشخص لا تنسى ولا تختفي تمامًا إنما تصبح جزءاً من لا شعوره الشخصي وتلك الخبرات أما أن تكون قد كبتت لا إراديًا أو قمعت إراديًا بإعتبارها ذكرى مؤلمة للأنا أو أنها من الضعف بحيث لم تترك إنطباعا شعوريا في النفس.. . وفي مقاربة اخرى يمكن اعتبارها قصة بحرية موسوعية لم تترك شيئا، اسما او مصطلحا بحريا لم تأت به.. وتكلف ميلفل عناء بحثه عن الأسماء والاستعارات والصفات ذات العلاقة بحكم إيغاله بتفاصيل مضنية جمعها ليكتب عمله الضخم الذي لم يلق النجاح الذي حلم به و لم تحظ بالاهتمام النقدي حتى انها لم تعامل باهتمام من قبل الناشرين في حينها ما جعل كاتبها يشعر بالاخفاق واليأس والإحساس بالعجز ويموت بعدها بعيدا عن الانظار مهملا في العقد الاخير من القرن التاسع عشر.. قال عنها برناردشو "منذ عرف الإنسان كيف يكتب لم يوجد قط كتاب مثل هذا الكتاب، وعقل الإنسان أضعف من أن ينتج كتاباً مثله، وإني أضع مؤلفه في مصاف مؤلفات رابليه وسويفت وشكسبير". وقد خلقت الرواية قارئا خاصا لها، فهي بحجمها الكبير وتفاصيلها المملة أحيانا والبعيدة عن قصة الرواية، لايمكن ان تكون سهلة ابدا.. فالقارئ حسب ناتالي ساروت "يجب عليه أن يتعرف في ما يقرأ على عالم ليس عالمه، ولكن يرغب في أن يكون عالمه".

تبدأ الرواية "بلسان اسماعيل الراوي وهو احد افراد السفينة بيكود"، بحركة السرد السريع المخبر عن نوايا القبطان ورجاله حينما يتحركون من جزيرة الحواتين "نانتوكت" متجهين إلى "رأس هورن" للبحث عن موبي ديك الحوت الابيض الهائل الحجم الغامض والذي كان مثار تحد وفزع لكل البحارة والممتهنين صيد الحيتان على حد سواء، لكنهم كانوا يبحثون عن قدرهم في رحلة الخوف والصعاب والموت هذه بعد ان قرر أخاب بطل الرواية ان يجمع طاقما قويا لمطاردة واصطياد موبي ديك ويقودهم بحرفة وبراعة الباحث عن كنز ثمين يعلم اين يجده، بعد ان فشلت محاولته الاولى التي اسفرت عن تحطم سفينته وموت رجاله وفقدان ساقه.. كان قرار أخاب العنيد ممتزجا بين الثأر والجنون والتحدي، رغم ان فرصة النجاة كانت ضئيلة او تكاد تكون معدومة لكنه ظل مهووسا بفكرة الانتقام التي ألبسته الشعور بعدم الرجوع دون تحقيق مبتغاه.. المحاولة تنم عن ارادة مشوبة بالقلق من المصير المجهول ولكنها صممت لانتزاع سيطرة القوى الاخرى على الإنسان مهما كانت تمتلك من الجبروت والقوة.. وبعد رحلة متعبة ومملة ومفاجآت وخوف مريع، كانوا يخترقون البحار المتجمدة وجبال الثلج البيض تحت سماء ملبدة بغيوم مخيفة و يقتفون اثر الحوت الابيض وبعد معاناة، يعثرون على طريدتهم وتبدا المعركة لثلاثة ايام متتالية وهنا يتحول المسار الروائي كليا داخل فسحة السرد:

فصاح أخاب: "أجل ثب وثبتك الأخيرة نحو الشمس يا موبي ديك! دنت ساعتك ودنا من يدي الرمح الذي سيرديك! انزلوا جميعا إلا واحدا في المقدمة. القوارب! تأهبوا!" أغفل البحارة استخدام سلالم الحبال المملة عند القلوع وانزلقوا هابطين على ظهر السفينة كأنهم وجوم الشهب، عن طريق الدعائم الخلفية المتفرقة وحبال الأعلام، بينما أنزل أخاب من مرقبه في انطلاق أقل وسرعة أكثر. وكأنما أراد موبي ديك أن يلقى رعباً في قلوب العصب الثلاث من الملاحين، إذ كان هذه المرة هو البادئ بالهجوم فقد استعدوا وتقدم نحوهم.." وهكذا يبدا الصراع الثاني "بعد معركة سابقة خسر اخاب ساقه فيها" والاقوى بين رجال يقودهم أخاب بساق واحدة، وبين موبي ديك وتمتد المعارك معه دون ان ينالوا منه ويروع البحارة من جبروت هذا الكائن الضخم. وفي ثالث ايام المعركة، غرس أخاب رمحه في جسده الابيض اعتقادا منه انه سيقتله لا محالة، ويحدث ما لم يكن محسوبا عندما يلتف حبل الرمح على رقبة القبطان أخاب وهو في احد قوارب السفينة المتعقبة للحوت. و ينجح الحوت في ضرب السفينة وتدميرها ويغرق البحارة ويسحب الحوت أخاب المشنوق بالحبل الى الأعماق السحيقة لينتهي كل شيء وينجو من الكارثة إسماعيل الراوي.. إنها رواية فلسفية ومأساوية في آن معا فرغم بطولة اخاب ينتهي نهاية درامية يفقد اصحابه والقوارب الأخرى المرافقة وينتهي المصير المؤلم الى هاوية التمني بالتحدي.. ولكن أي تحد؟ تحدي الطبيعة رغم كل عنفوانها وجمالها، التي اصبحت هي قاتلة للكابتن وأصحابه وهذا ما يتعارض مع مبدأ الجمالية والاسترخاء وسلمية المعنى لها.. في الرواية لا أجوبة قاطعة لتساؤلات آخاب غير الموت.. هو الحقيقة الوحيدة التي تدور حولها محاور الرواية، فكل صرخات القبطان المتحدية والأنخاب التي تدور على السفينة ابتهاجا بلحظة ملاقاة موبي ديك، وأوامره التي لاتنتهي لرجاله ونصائحه، تذهب سدى مع ضربات الحوت المدوية للسفينة وقواربها المتقلبة وسط الموج والذي لم يستطع احد من التشبث باي خشبة منها للنجاة. ويذكرنا هذا المصير المكتوب بطريقة السرد هذه بقول سارتر بأن الكتابة هي نوع من الشهادة الموجزة على موت الإنسان..

يحاول ميلفل الاقتراب من التاريخ ويستفيد من اسم آهاب وهو اسم ملك أخذه من العهد القديم وكذلك إسماعيل الراوي والناجي الوحيد هو ابن هاجر زوجة النبي إبراهيم.. في حين نجد ان سفينة الانقاذ التي تعثر على اسماعيل اسمها راحيل احدى نساء يعقوب وهذه الدلالة بمعنى أزلية الصراع وأبديته وانه لا ينتهي.. لقد جر أخاب على نفسه مزيدا من العذاب والآلام وهو يحاول تحدي الحوت الضخم.. هنا يكون الإنسان وحيدا تجاه الطبيعة الغالبة، القوية والمفترسة.. هذا قدر اخاب.. حتى اننا نعتقد ان ملفل اراد الانتصار لقوى الطبيعة الخارقة تلك على الانسان الضعيف المستوحد في لجج الامواج الهادرة واي انسان هو، ذلك الذي يصارع بساق واحدة!! و الحوت مثال واضح لهذه المقاربة.

لم تلق الرواية في حينها أي اهتمام يذكر فقد كتبها ميلفل في عام ١٨٥١. وفي عام ١٩٠٧ كلفت مطبعة جامعة اوكسفورد جوزيف كونراد بكتابة مقدمة للرواية التي اصدرت طبعة منها، الا انه رفض بحجة ان الرواية عبارة عن عمل كلاسيكي ثانوي لايرتقي الى الاعمال المهمة والمؤثرة في تاريخ الرواية و فيه مبالغة وتكلف واضح عن عملية صيد حوت لا اكثر.. في عام ١٩١٩ كتب الناقد الاميركي كارل فان دورين دراسة عن الرواية مشيرا الى انها احدى اهم روايات البحر الرومانسية في جميع ادب العالم.. ولفتت الدراسة نظر الكاتب البريطاني د. هـ. لورنس الذي امتعته وبهره اسلوبها و كانت مقالته عنها قد أعادت اكتشاف موبي ديك واعتبرت من وقتها انجازا عظيما في الرواية الكلاسيكية ومعجما فريدا للحيتان وادوات الصيد وصارت مصدرا مهما من مصادر البحث عن اساليب كتابة رواية البحر واساس متين استند عليه الكثير من الروائيين كما يقول الروائي جاد الحاج كانت رواية "موبي ديك" نقطة تحول أساسية في مجرى الأسلوب والتعبير نسبة الى الرواية الأميركية والعالمية على السواء، بل أصبحت معلماً أو مرجعا تقارن به مئات الروايات الحديثة حتى يومنا. ولعل "ثلاثية البحر" لوليم غولدينغ و "الشيخ والبحر" لأرنست همنغواي و "البحر، البحر" لدوريس ليسينغ من أبرز الانعكاسات، على رغم تنوعها، للأثر العميق الذي تركته "موبي ديك" في الكتابة الروائية، ناهيك عن عدد لا يستهان به من الأعمال الشعرية والسينمائية والموسيقية.

• موقع ايلاف

الأمل

موخب يوما ـ زاخو

الحياة، نور قدم من العلى ويسير نحو المجد، الحياة روح عظيمة سكنت جسدا ضعيفا فتكلمت فيه الكبرياء دهورا غابرة أزمنة خالدة أجيال قادمة، الحياة أمل لا يعرف حدود المسافات، أو مدد الأزمنة ولا تدركه معاني الأجزاء وأشكال الأوصال..
فالأمل حياة وحياة بلا أمل مثل قمر مظلم بلا مدار، مثل كوكب معتم تائه في الفراغ الهائل المخيف المرعب.
الحياة زهرة.. أبتسامة ضياء وأشراقة رسمها النور الأزلي المنبثق من أعماق الخلود، سار على سطح الوجود وهجا منشدا أغاني العظمة في ربوع الأرض، فالوهج رجاء وغاية دائمة.. والأمل غاية منشودة، حلم نحو الأرتقاء.
الأمل قد يبدو بعيدا والرجاء صعب وقد ترى الغاية ظلا والبلوغ وهما والأرتقاء خيالاً، نعم قد يبدو الأمل هكذا فتتحول الحياة الى حلم خارج حدود ألفاظها وتتحول الى أمور لا تمتلك سوى تلك الألفاظ..
ولكن يبقى الأمل بين أن يبقى البعد بعدا أو أن يزول، والصعاب تبقى بين أن تدفن الأحلام أو أن تتلاشى الصعاب وتختفي الظلال وتزول الأوهام.
فما أقوى الأمل وما أصدق الرجاء قوة وصدقا رغم صور اليقين والشكوك.
الأمل زهرة تحيا شتاءا قاسيا، لاتنام أبدا وتتوج كياتها ملكة قاسية شقية.. وذلك لها أرفع مقام من ذليلة يائسة في فردوس الخنوع.
الأمل سر أجتاز محنا ونظر من صميم رؤياه ما لم يتمكنه اليأس معرفة وبلوغا.
فالمرارة والمعاناة أقرب حقيقة وأصدق واقعاً الى الأنفس العزيزة المتربعة فوق أجنحة روح نبيلة تحت ضلالها تتثبت عزائم الرجال.
أن جميع المواقف لهي تعبير صادق عن حقائق الأعماق.. لكن هناك أعماق محدبة.. وعمق آخر يغور في أعماق الشعور ويعزز الثقة في كل فجر جديد والأرض تستقبل صباحا جديدا.
مستقبل بلا أمل مثل تاريخ بلا حقيقة، فما أوثق الأمل بالحياة لأنسان يحمل الحياة حلماً جميلا على أجنحة البراعم فتنبثق أزهارا في جنان رائعة الجمال.

أمي

خاطرة

ايمان بارنجيتا ـ زاخو

أمي العزيزة
لم أكن
موجودة لولاك
أحث الخطى إليك
اسمع أنينك في
سكون الليل
وفي فجر كل
الصباحات
اعتقيني من كل
عار
اعتقيني من تلك
الأوزار
تأسرني غياهب
الدهر
تقتلني الحسرات
وهمومك يا أمي
أمواج البحر
عاتية يا أمي
لا تواسيني لا
تهديني
ونحوك النوائب
تدينني
إستلبنا بمكامن
الصدود
ومن تقاطع القيود
هجنت مواليدنا
ويبست أرحامنا
عبدت أمانينا
لا أمل ولا صولجان
لا نملك إلا النسيان
لتغني لك يا أمي
لتطرح الأحزان
والأشجان
حين يستفيق
الحنين
ونولد من جديد
لتولد صبايا
وبنينا
ليرقصوا مع دقة
الطبول
بكل خشوع و
إيمان
وأغنية لا نهاية
لها
لا قوافي فيها
لا حدود لها
لا أوزان تقيدها
لا ألحان تعالجها
لا سجانا يراقبها
لا نظرات تمقتها
لا حروف تكبلها
بل طيور في
السماء
وعلى الأرض
ملاكها
يحرس نواصيها
ومن ينشدها
يعرف بدورها و
شمسها
يعرفك يا أمي
يعرف انك أمي

رحلة الشاعر أحمد الصافي النجفي (الجزء الثاني والاخير)

عدنان حسين احمد ـ لندن

السهل الممتنع

وثمة أمثلة أخرَ على إدخاله للمصطلحات السياسية، وتوظيفها في نصوصه بطريقة فنية لافتة للانتباه. لم يكن هذا التوظيف الفني للمفردات العامية والمصطلحات السياسية مجرد نزوة عابرة، وإنما نزوع فني هدفه التجديد الذي لم يسبقه إليه أحد من شعراء عصره أو مجايليه في الأقل. وقد أورد الباحث نماذج كثيرة يمكن الاطلاع عليها سواء في الفصل الثاني، أو في بقية فصول هذا الكتاب النقدي. تجدر الإشارة إلى فلسفة المكان لدى الصافي النجفي. فثمة علاقة حميمة تنشأ بينه وبين المكان الذي يقيم فيه.

ولا غرابة في أن يظل الصافي متشبثا بغرفته القديمة المزرية في جامع ومدرسة الخياطين على الرغم من العرض السخي لوزير الأوقاف السوري الذي قرر في وقت متأخر جدا أن يمنحه بيتا مريحا للسكن يليق بمنزلة الشاعر الثقافية غير أن رد الصافي كان بليغاً ومؤثراً وموجعا في الوقت ذاته حيث قال: إني سكنت هذه الغرفة أربعين عاما. وكتبت فيها ثلاثة عشر ديوانا، فهي كغار حراء بالنسبة لي، وليس من الوفاء بعد تلك العشرة الطويلة أن أفارقها أو أرحل عنها!.

أنا جمعُ أشخاص وما أنا واحد

يتناول د. العاتي في الفصل الثالث من الكتاب العلاقة الوثيقة بين الشعر والفلسفة حيث تتبع الباحث أشكال العلاقة التي تطورت من شعر الحكمة عند زهير بن أبي سلمى إلى الشكل الأكثر تعقيدا عند أبي تمام والمتنبي، ثم إلى الشعر الفلسفي الخالص عند المعري وغيره من فلاسفة التصوف وأساطين العرفان. تتبع الباحث المرامي الفلسفية في شعر الصافي النجفي منطلقا من فكرة مفادها أن الصافي النجفي هو شاعر معان لا مبان، كما أسلفنا، أي أن هناك أفكاراً جوهرية خالصة تهيمن على ذهن الشاعر وحواسه في آن معا، وأن همّ الصافي هو النفاذ إلى ما وراء الظواهر للوصول إلى الحقائق المطلقة وهذا ما يفعله الفيلسوف، غير أن الفرق بين الشاعر والفيلسوف كبير إلى حد ما. فالشاعر، بحسب الدكتور العاتي، يتوسل بالخيال والوجدان والعقل الباطني لملامسة الحقيقة أو الوصول إليها إن أمكن، أما الفيلسوف فهو يلجأ إلى العقل والتحليل المنطقي والبراهين الدامغة.

وهذا الرأي لا ينفي أن فلاسفة الإشراق يعتمدون على الحدس والكشف والذوق، أي أنهم قريبون جدا من الشعراء. لا شك في أن الصافي قد درس العلوم العقلية في حوزة النجف، وتعمق في المنطق والفلسفة وعلم الكلام، وأن وسيلته الاستدلالية هي العقل لا العاطفة أو الشعور أو الوجدان. كما أن ولعه بعدد من الشعراء العرب القدامى والمحدثين يكشف عن عمق النزعة الفلسفية لديه، ويكفي أن نشير هنا إلى تأثره بجميل صدقي الزهاوي الذي قدم الصافي النجفي إلى القراء العرب، وتوقع له مستقبلا شعرياً كبيرا. من الآراء الجديرة بالدراسة والاهتمام أن الصافي النجفي قد توصل خلال حياته الطويلة نسبياً إلى عدد من الآراء والأفكار التي سبق أن توصل إليها فلاسفة كبار أمثال برغسون من دون أن يطلع عليها شاعرنا النجفي. وقد أورد د. العاتي عددا من الأمثلة التي تؤكد صحة ما يذهب إليه. ويكفي أن نشير هنا إلى ما قاله الدكتور شارل مالك، وزير خارجية لبنان الأسبق، بأن الصافي النجفي توصل إلى نفس النتائج التي توصل إليها هيغل. وحينما استفسر من الصافي النجفي إن كان قد قرأ هيغل من قبل؟ فأجاب الصافي بالنفي. وأعتقد أن الدكتور العاتي هو أقدر من غيره في دراسة هذه الظاهرة اللافتة للانتباه، والتحقق منها، سواء أكانت حقيقة دامغة أم مجرد توارد خواطر لا غير. فالدكتور العاتي كان قريبا جدا من الصافي النجفي، كما أنه شاعر، ومتخصص في حقل الفلسفة، كما أشرنا في مقدمة هذه الدراسة.

كان الصافي النجفي يحمل عدداً كبيراً من التناقضات وقد أورد الباحث نماذج متعددة منها، ولكن يظل البيت التالي من الأبيات الشعرية التي تعزز حجم التناقض الذي كان يحمله في تضاعيف نفسه حيث يقول

تناقضت الأفكار عندي كأنما
أنا جمعُ أشخاص وما أنا واحد.

وقد خلص الباحث في نهاية الفصل إلى أن رحلة الصافي النجفي قد بدأت من الشك، وانتهت إلى اليقين المطلق، والإيمان الخالص، والتصوف المحض.

حدود التأثر والإعجاب

أشار الدكتور العاتي في الفصول الأولى من الكتاب إلى أن شخصية الصافي النجفي تنطوي على تناقضات كثيرة. فمن يطريهم اليوم قد ينقلب ضدهم غدا! وفي الفصل الرابع من هذا الكتاب يرصد العاتي علاقة الصافي النجفي مع الشعراء سواء أكانوا قدامى أم محدثين. وأن هذا الرصد الدقيق الذي تبناه العاتي يشكل فعلا سيرة ذاتية للصافي النجفي الذي أهمل هذا الجانب، ولم يُعره أدنى اهتمام.

ومن خلال لقاءات العاتي المتكررة معه تبين أن الصافي النجفي يمحض عدداً من الشعراء حُبا من نوع خاص، ويشيد بمواهبهم وتجاربهم الشعرية مثل المتنبي والمعري وعمر الخيام، غير أن هذا الإعجاب قد ينقلب ذات يوم إلى نقد شديد. لا بد من الإشارة إلى أن الصافي النجفي قد تأثر فعلا بالعديد من الشعراء العرب والأجانب غير أن حدود تأثره لا تتجاوز الروح والجوهر.

ويندر أن تجد قصيدة للصافي النجفي تعتاش على إيقاع قصيدة لشاعر آخر سواء من مجايليه، أو من الأجيال السابقة. وبسبب سعة هذا الموضوع سنكتفي بذكر أسماء الشعراء الذين نالوا إعجابه، أو كانت تربطه وإياهم علاقة من نوع ما وهم ديك الجن الحمصي، المتنبي، الخيام، سعدي الشيرازي، جلال الدين الرومي، محمد تقي بهار، إيليا أبو ماضي، فوزي المعلوف، رشيد سليم الخوري، بدوي الجبل، فخري البارودي، نزار قباني، سلمى الخضراء الجيوسي، محمد سعيد الحبوبي، علي الشرقي، محمد باقر الشبيبي، رضا الموسوي الهندي، آغا رضا الأصفهاني، معروف الرصافي، عبود الكرخي وآخرين لا يسع المجال لذكرهم جميعا.

النزوع القومي

ذكر د. العاتي أن الصافي النجفي قد انتمى إلى حركة المشروطة المناهضة للاستبداد، والداعية إلى التعددية الحزبية، والحياة البرلمانية الحقيقية. وأكثر من ذلك فإن الصافي كان يتوفر على مشاعر قومية جياشة. وحينما قاد العقيد صلاح الدين الصباغ حركته الإنقلابية اتهمت ألمانيا بأنها كانت وراء ذلك الانقلاب. ويبدو أن تهمة النازية قد لحقت بشاعرنا الكبير الصافي النجفي، حيث اعتقلته القوات البريطانية إثر وشاية ملفقة، وزجته في السجن لمدة ٤٣ يوماً تفاقمت إثرها حالته الصحية، وشارف على الخطر، لكن القائمين على السجن نقلوه تحت الحراسة إلى مستشفى سان جورج، ثم أعادوه إلى السجن حينما تماثل للشفاء. وخلال مدة سجنه أنجز الصافي ديواناً كاملاً أسماه حصاد السجن، ويعد هذا الديون بحق علامة فارقة في أدب السجون. وعلى الرغم من الوضع المأساوي الذي كان يعيشه الصافي في السجن إلا أن السخرية لم تفارقه. لنتمعن في البيت الآتي: **رمونا كالبضائع في سجون**
وعافونا ولم يبدوا اكتراثاً
رمونا في السجن بلا أثاثٍ
فأصبحنا لسجنهمُ أثاثاً.

يؤكد العاتي أن صديقه القديم صالح جبر هو الذي توسط لدى السلطات البريطانية حينما كان وزيراً للداخلية، ووكيلا للخارجية، وأخرجه من السجن. وعلى اثر تلك الوشاية المغرضة أصبح الصافي متوجساً في علاقاته الشخصية مع الناس الآخرين. ومع ذلك فقد ظل نزوعه القومي قويا، وربما يكشف تشبثه بالزي العربي عن طبيعة هذا النزوع المشروع في وقت كانت تعاني فيه العروبة من توجهات قطرية عدائية.

المرأة في حياة الصافي وشعره

تشكل المرأة جانباً مهماً في حياة الصافي النجفي وشعره في آن معا.

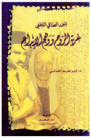

وكلنا يعرف أن طبيعة التوتر في علاقته الشخصية مع أخيه الأكبر إنما تعود إلى رفض الصافي النجفي الزواج من الفتاة التي اختارها له أخوه السيد محمد رضا. يطرح العاتي عدداً من التساؤلات المنطقية التي كانت وراء رفض هذه الزيجة من بينها: هل كانت للصافي النجفي علاقة عاطفية بفتاة أخرى؟ أم أنه رفض فكرة الزواج المدبر؟.

ثم يحيلنا العاتي إلى الدكتور الراحل جلال الخياط الذي لازم الصافي في الشهور الأخيرة، كما حقق أعماله الشعرية غير المنشورة في ديوان ضخم حيث يؤكد الخياط على وجود هذه العلاقة العاطفية التي لم تنته بالزواج. وأكثر من ذلك فإن الخياط يعتبر فشله في الزواج ممن أحب هو السبب الرئيسي لمغادرته إلى سورية ولبنان، وليس المرض كما هو شائع في الأوساط الثقافية العربية. أما الفصل السابع والأخير فهو ختام الرحلة الحياتية والإبداعية حيث يتخلص الصافي النجفي من شكوكه وتناقضاته الخطيرة ويتجه كليا إلى رحاب الإيمان حيث يتحقق صفاؤه الروحي الكامل.

* موقع باب